الدرس التاسع.

مقياس تاريخ وحضارة المغرب والأندلس.

الدولة المرابطية.

ينتمي المرابطون الى قبيلة لمتونة وجدالة ومسوفة، وكلها تتفرع من صنهاجة الصحراء والتي كانت تعيش في حوض السنغال في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، بعد أن طردتهم قبائل زناتة الى اقصى الجنوب حيث كانت تعيش حياة قاسية، وتنقسم صنهاجة الصحراء الى حوالي 70 قبيلة، أبرزها لمتونة ومسوفة وجدالة ولمطة ومنداسة وبني وارث وغيرها وكانت لمتونة تقطن المنطقة الصحراوية الممتدة من جنوب المغرب الى بلاد السودان (البكري، المسالك والممالك ج3).

نعت المرابطون بعدة أسماء، حيث تسموا بالملثمين (وقد ذهب المؤرخون مذاهب شتى منهم من ارجعها لحماية افواههم من العواصف، ومنهم يرى ان نسائهم كن يقتلن الى جانبهم محجبات أي الزيادة في عدد الجيش وهناك من يرى انهم اتخذوه اسوة بأجدادهم من اهل اليمن)، كما عرفوا باللمتونيين والصحراويين، وعرفوا بالمرابطين نسبة الى رباط طلبة العلم. (البكري، المسالك والممالك ج2)

تأسيس الدولة: في أوائل القرن الخامس الهجري كانت رياسة قبائل صنهاجة الصحراء لقبيلة جدالة وزعيمها يحيى بن عمر بن إبراهيم الجدالي حتى سنة 416هـ، الذي اثناء عودته من رحلة الحج التقى بكبار علماء المالكية بالقيروان، ومنهم أبا عمران الفاسي، فطلب منه ان يرسل معه احد طلبته الى بلاده ليعلم أهلها الكتاب والسنة، فحمله أبو عمران كتاب الى فقهاء لمغرب الأقصى ويدعى وجاج بن زلو اللمطي بالسوس، اختار له هذا الأخير احد تلامذته وهو عبد الله بن ياسين الجزولي.

صاحب ابن ياسين يحيى بن إبراهيم الى قبيلة جدالة حيث شرع في تعليم أهلها احكام الدين الإسلامي، وسرعان ما كثر اتباعه ون اهل صنهاجة حيث أطلق عليهم المراطين ورغبهم في

الجهاد ومحاربة الخارجين عن مذهبهم، فدعاهم الى التوبة وإتباع تعاليم الدين الصحيحة ثم رفع السيف وغزا قبيلة جدالة وانتصر عليهم فاسلم أهلها اسلام جديد، ثم سار الى لمتونة ومسوفة فأطاعته بقية صنهاجة، وبعد وفاة يحي بن إبراهيم ولي عليهم يحيى بن عمر اللمتوني. (حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين)

إن الدوافع الاقتصادية كانت بارزة في خطط قيام الدولة فتحالف هذه القبائل كان تجسيدا لواقع المصالح الاقتصادية لذلك كان لبدى من التحطم في المسالك والطرق التجارية، وهذا يتجلى من توسع عبد الله بن ياسين شمالا للسيطرة على سجلماسة والتخلص من سلطة الزناتيين، (قبيلة مغراوة التي تسيطر على المغرب الأقصى).

ضم المرابطين لبلاد المغرب.

خرج عبد الله بن ياسين في جيش كبير من المرابطين والتقوا بالمغراويين في معارك كثيرة دارت رحاها في أرض سجلماسة، وقد أصر المرابطون على أخذها مما يفسر الدور الاستراتيجي الذي يلعبه هذا المركز التجاري في قيام كيانهم السياسي ودولتهم الفتية، (هذا ما يفسر دور العامل الاقتصادي والنمط الخلدوني في قيام الدول كما انها رفعت شعار مذهب مالك، قول ابن خلدون" إن الدعوة الدينية تزيد الدولة في أصلها قوة على قوة العصبية التي كان لها من عددها").

وبعد وفاة الأمير يحيى بن عمر اللمتوني سنة 447هـ قدم ابن ياسين عوضا عنه للقيادة اخاه أبا بكر بن عمر اللمتوني، وبعدها اتجه المرابطون لغزو بلاد السوس وكان على مقدمة الجيش يوسف بن تاشفين ابن عم الأمير أبي بكر، ثم غزوا بلاد جزولة وقصدوا مدينة أغمات وتامسنا وحتى برغواطة،(خليط من قبائل كان يحكمهم رجل يهودي ادعى النبوة اصله من جنوب الاندلس، وهو صالح بن طريف بن شمعون الرباطي و عربوه العرب بالبراغواطي) وفي هذه المواجهة أصيب عبد الله بن ياسين بجروح أدت الى وفاته سنة 451هـ.(ابن أبي زرع، الانيس المطرب)

تقلد يوسف بن تاشفين زمام الأمور في بلاد المغرب بعد ان اجمع اشياخ المرابطين على إمرته نظرا لما يعرفونه من دينه وشجاعته وحزمه، وقد ترك له الأمير [و بكر بن عمر جزءا من جيشه الذي خاض به حروبا ضد زناتة ومغراوة بني يفرن، وتمكن من اخضاع النواحي الجنوبية والوسطى من المغرب الأقصى، فعظم أمره وذاع صيته وخطب له في المغرب نحو ألفي منبر، (عبد الواحد المراكشي، المعجب)

فكر يوسف بن تاشفين في وضع قاعدة لجيشه فوقع اختياره على مكان يقع شمال غرب اغمات ومنها كان مولد مدينة مراكش سنة 454هـ، (من أسباب اختياره لهذا المكان، الموقع الاسراتيجي نقطة اتصال بين الشمال والجنوب، محصنة داخل جبال الاطلس، بوابة الصحراء، في قلب بلاد المصامدة من اجل استمالتهم)

قضى يوسف بن تاشفين زهاء عشرين عاما في تثبيت أركان دولته حتى تمكن من إتمام فتح بلاد المغرب الأقصى، كما نجح في إضافة الجزء الغربي من المغرب الأوسط الى مناطق نفوذه، ثم عبر الى الاندلس حيث لبى دعوة بني عباد لرد هجمات النصارى، وبالتالي يعتبر المؤسس الحقيقي لدولة المرابطين التي تمتد بشكل طولي من الاندلس شمالا حتى بلاد السودان جنوبا.

لما توفي يوسف بن تاشفين سنة 500هـ/ 1106م خلفه ابنه علي بن يوسف ورغم ان امه اسبانية الأصل الانه اجتمعت عليه الدولة المرابطية، وقد سار على نهج ابيه في نشر الإسلام والجهاد وحماية البلاد، واستمر تطور الدولة في عهده، فتسعت مدينة مراكش وازدهرت الأحوال الاقتصادية (السيطرة على الطرق التجارية، الذهب).(ابن أبي زرع، الانيس)

أسباب سقوط الدولة المرابطية: بما أن الدولة المرابطية أساسها ديني وبما حكامها الثلاث كانوا على ورع وزهد فقد قربوا إليهم الفقهاء والعلماء، فارتفع شانهم وزادت ثرواتهم فزينوا للأمراء البطش ضد من يعارض (حرق كتب الغزالي).

كما ان تحول رجال الدولة من حياة البداوة الى حياة الحضر أفقدهم خصائصهم الاصلية وفضائلهم، إضافة الى تدخل النساء في الحكم (كن في المجتمع اللمتوني ذات مكانة ومنزلة واردن ان يحتفظن بنفس المكانة في دولة المرابطين، كما ساهم الجهاد الذي طال أمده في الاندلس في ارهاق الدولة وتراجع قوتها العسكرية، إضافة الى التعسف في فرض الجباية، اما السبب الأخير هو ظهور محمد بن تمرت في بلاد المغرب. (إبراهيم القادري بوتشيش، تاريخ الغرب الإسلامي.

درسي عبد القادر